



تقييم حالة

مصر في ذكرى الثورة: هدوء الحراك واشتعال الخطاب

عبدہ موسى | فبراير 2016

مصر في ذكرى الثورة: هدوء الحراك واشتعال الخطاب

سلسلة: تقييم حالة

عبدہ موسى | فبراير 2016

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتمامًا لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

ملخص تنفيذي

لا يزال النظام في مصر يعيش أزمة مركّبة؛ فعلى الرغم من الأثر المباشر لانتهاجه القمع الواسع لقوى المعارضة، ما قلّ من حجم الاحتجاجات السياسية ضدّه، لا تزال قدرته على خفض معدلات الغضب الجماهيري والاحتجاج الاجتماعي ضعيفة، لا تستطيع إستراتيجيات صناعة الصورة والدعاية حجبها. وعلى الرغم من مسعاه إلى استعادة الدعم الخارجي عبر إعادة طرح نفسه قوة إقليمية قادرة على الفعل في ساحات التدخّل العسكري ضد داعش، سواء في ليبيا أو سورية، لا تزال قدرته على إنجاز تحوّل ملموس على هذا الصعيد محدودة.

| | |
|---|---|
| 1 | مقدمة |
| 2 | إستراتيجيات دعائية ذات منتج عكسي |
| 4 | بؤادر التحلل الداخلي للنظام |
| 6 | نكوص الداعمين وعودة التأزم السياسي والاقتصادي |
| 9 | خاتمة |

مقدمة

على الرغم من مرور ذكرى ثورة يناير الخامسة بفعاليات ميدانية أقل بكثير مما شهدته السنوات الماضية، بدت الحال على ساحة الرأي العام مناقضة تمامًا لذلك الهدوء؛ فالحراك الاحتجاجي الذي كان معتادًا فيما سبق وصلت كلفته إلى مستوى عالٍ في مقابل مردود منه أقل؛ ذلك أنّ الخشية من التحوّل الأمني قد دفعت جهة التحفظ على دعوات الخروج في ذكرى الثورة، في وقتٍ يغيب فيه بديل سياسي معقول مع استغراق القوى السياسية المعارضة في حالةٍ من التشرذم والتفتت الداخلي.

على النقيض من هذا، كان تصاعد الغضب على مستوى الخطاب جليًا؛ فقد دارت حملات تستهدف بالنقد الحاد القوى ذاتها التي خرجت عليها الجماهير قبل خمسة أعوام؛ سواء طبقة الرأسمالية الاحتكارية، أو بيروقراطية الدولة، خصوصًا قطاعها الأمني والعسكري، ودوائرها المعاونة في الإعلام والقضاء من ذوي الميزات والنفوذ. رافقت الانتقادات الواسعة لأداء النظام حالةً احتفالية غير مسبوقة بذكرى ثورة يناير، استعرت على شبكات التواصل الاجتماعي، وشهدت إعلانًا واسعًا، من فئة الشباب بالخصوص، عن الانتماء إلى هذه الثورة تحت هاشتاج "#شاركنت_في_ثورة_يناير"، والذي احتلّ قمة تدوينات شبكات التواصل الاجتماعي بسبعة ملايين تفاعل¹. وعاد إلى واجهة الخطاب أيضًا عددٌ من رموز جيل الشباب ممّن قادوا الثورة، بعد أن غيّبوا طويلًا في أعقاب الانقلاب. وفي هذا الإطار، جرى استدعاء واسع لوسائل توثق أحداث الثورة وذكرياتها، في إدانة واضحة لما آلت إليه الحال في البلاد. يجيء هذا الاحتفاء ردًا على حملة التشويه والاستهداف لثورة يناير ولرموزها في الإعلام الحكومي وعلى ألسنة محسوبيين على النظام.

¹ حسن مجدي، "تويتر يشتعل بين 'شاركنت' و'شاركنتش' في 25 يناير.. والهاشتاجين الأكثر تداولًا"، اليوم السابع، 2016/1/18، شوهد

في 2016/1/26، في: <http://s.youm7.com/2543586>

يفحص هذا التحليل أسباب تناقض ساحتي الميدان والبيان (الخطاب) في مستويات ثلاثة متشابهة؛ هي: مستوى التفاعلات بين المجتمع والنظام، ومستوى التفاعلات داخل النظام ذاته، وأخيراً مستوى التفاعلات الخارجية.

إستراتيجيات دعائية ذات منتج عكسي

جاوز الغضب الخطابى ضد النظام المنطقة "التقليدية" للتعبير، والمتمثلة بشبكات التواصل الاجتماعى، ليظهر على صفحات بعض الصحف المستقلة، فضلاً عن بعض البرامج التليفزيونية الحوارية، وهي التي مالت منذ وقوع الانقلاب إلى التحوّل والنأي عن كيل النقد للنظام. ورأينا عدداً كبيراً من مقالات النقد والتحقيقات حول ذكرى الثورة التي تحتفي بها. وجاءت لتوازن نسبياً موجة استباقية في إعلام الدولة الرسمي وشبه الرسمي، حملت خطاباً مونتوراً إزاء ثورة يناير وكلّ ما يتعلق بها². ويرتبط الأمر بتضعف إستراتيجية النظام الإعلامية المتبناة منذ صيف 2013، فهي لم تعد قادرة على ستر حقيقة أنّ بطش الأمن قد وصل إلى مدى يهدد النظام ذاته بتحريك موجات الغضب، بعدما انفلت من عقاب كلّ قانون.

تبّى إعلام الثورة المضادة توجّهاً سافراً في إسناد القهر الأمنى الواسع، وعزّز عملية تجريف المجال العام التي نشطت في أعقاب الانقلاب، واحتشد بتكتيكات دعائية ليحقق العزل الفكرى للمجموعات المناهضة للنظام، وحصار خطابها النقدي، وغايته التمكين لأجهزة الأمن في الانفراد بها، وملاحقتها وقمعها دون أن تهبّ لحمايتها القواعد الشعبية التي وقفت من قبل في صفّ الثورة. وفي الوقت ذاته، وجّه هذا الإعلام إستراتيجية إغواء للجماهير، تلخّ في التبشير بجملةٍ من الأحلام والوعود، وتصخب حول قدرة النظام على إنجازها. لعبت هذه الحملة بقوة على محكّ العيش، بوصفه المطلب الأكثر حساسية بين عناصر المطالبة الثورية، والأكثر تحدياً في ضوء محدودية القدرات الراهنة للنظام. فجاء منطوقه مناقضاً حقيقة أنّ الاقتصاد المصرى يعيش فترة هي الأسوأ منذ اندلاع الثورة، وبات في غاية الوهن، وأنّ إنجاز نقلة نوعية على مسار مطلب العيش يتطلب إجراء

² مثال جيّد لها في ملفّ كامل للمصرى اليوم، انظر: "5 سنين ثورة"، المصرى اليوم، 2016/1/25، شوهد في 2016/1/26، في:

<http://www.almazryalyoum.com/news/details/880237>

تغييرات بنبوية، غالبها مرير، ويقضي بانتهاج عملية لإعادة توزيع واسعة للثروة، فضلاً عن غلق أبواب احتكار الأسواق، ووقف ديناميات إنتاج التفاوت، وجميعها تدخّلات لا تجيء على هوى القطاع الرأسمالي القويّ ضمن الحلف الاجتماعي المعضد للنظام.

رافقت هذه الوعود تكتيكات التبرير لحالة التغول الأمني العنيفة، وإخفاء ممارسات بلغت ذروة مقلقة، مثل الإخفاء القسري، والقتل البطيء في السجون، والإعدام الميداني في لحظة الاعتقال، تلك الممارسات التي تفتّت خلال الفترة الماضية. والغاية من وراء ذلك نشر الخوف، بالتفريع من "إرهاب محتمل" يقوم به مناهضو النظام، وخصوصاً - بحسب هذا الخطاب - من المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، ومؤيدي الرئيس السابق محمد مرسي. في هذا الخصوص، جرى استثمارٌ واسع للهواجس الدولية من الإرهاب الجهادي لإعادة تعريف جريمة الإرهاب، على نحو يوسّع نطاقها، وبما يشمل ممارسات الاحتجاج السلمي التي لا ينطبق عليها مواصفات هذا التهديد. ووصلت الحال إلى وضع كلّ فعلٍ لمناهضة النظام تحت طائلة هذا الوصف. ولم يكن مستغرباً أن وصل الأمر إلى مستويات عبثية، عُدّ فيها ارتداء ألوانٍ بعينها أو الإمساك بأدوات مكتتبية أو التقوّه بعبارات الرفض في الشارع أو حتى على مواقع التواصل الاجتماعي، بمنزلة ممارسة للإرهاب.

يظهر تعرّض هذه الإستراتيجية من خلال تصدع صورة رأس النظام التي صنعتها أجهزة الدولة الفكرية والإعلامية، وهي التي ظلت تسهم في تعزيز شعبيته؛ بدءاً من صورة الزعيم الإقليمي، إذ لم يعد خافياً أنّ مصر قد ارتدّت إقليمياً إلى دولة أقلّ وصف لها هو أنّها مغيبّة؛ وحتى صورته المفضّلة بوصفه منقّداً من الإرهاب، محتها حقيقة تصاعد الهجمات الإرهابية التي لم تهدأ وتيرتها بحال، بل على العكس، تطورت نوعيتها على النحو الذي يجعل سيناء محلاً للقلق الدولي الواسع، والخشية من أن تصير معقلاً مريحاً لداعش؛ وتلك الصورة عن الناهض بالاقتصاد، وبطل المشروعات القومية، زالت مع إخفاقاتٍ سريعة ومنتالية وخسائرٍ واسعة في ما طرح من مشروعات سُميت بالقومية وبالكبرى، بينما تتحدر المؤشرات الاقتصادية بحدة، وبدا الانهيار المتسارع لقيمة العملة لا سبيل إلى إيقافه؛ أمّا صورة المحدث للدولة، فقد ناقضها العجز عن القيام بتعديلات جوهرية في دولا ب السلطة، وتجميد مشروعات تطوير مؤسساتها وهيكلتها، في حين أنّ التعرّض قد خيم على عملية طرح قانونٍ مُرضٍ للخدمة المدنية يحكم وظيفة البيروقراطية، وهي كانت مشايحاً قوياً للانقلاب، ولا يزال سوء التوزيع

والتضخم الإداري، وصراعات النفوذ والمكانة بين قطاعاتها الأبرز لا تهدأ، خصوصاً في المكوّن الأمني؛ وأخيراً صورة ملتزم الديمقراطية، والتي تمحوها كلّ يوم أفعال النظام القمعية، وحصار المؤسسات التمثيلية، وتحويلها إلى كياناتٍ هلامية تفتقر إلى أيّ قوة.

يبدو النظام أمام حقيقة تضخّم ركام الأزمات وإطباقها على حياة المواطنين، قد استنفد مجمل الصورة التي رسمتها آلة الإعلام التعبوي. ونحا قطاع من الجماهير مدفوعاً بالتململ والغضب، والإحساس بأنّ النظام قد خان توقّعاته، ولم يفِ بوعوده، إلى الإحجام الواضح عن دعم النظام. ولعلّ أرقام الإقبال على الانتخابات البرلمانية الأخيرة تقف شاهداً في هذا الخصوص³. ونشط قطاعٌ آخر في توسيع رقعة النقد للنظام، وهو المرتكز على جيل الشباب، وفئات المعارضة المحسوبة على ثورة يناير بالخصوص.

في الخطاب الناقد للنظام، سواء الوارد من فئة المعارضة المحسوبة على ثورة يناير، أو تلك المستأنسة، بأن النقد منزوعاً من حجج الإخوان والتحديات الدولية والإرهاب المحتمل، ومن الخطب حول أهمية المشروعات القومية التي ثبت أنّها في غير مكانها.

بوادر التحلل الداخلي للنظام

مع اقتراب ذكرى الثورة، ظهر النظام مرتبكاً؛ فهو من جهة محتاط بخصوص مخاوف من اندلاع أعمال احتجاج واسعة ضده، يعزز ذلك نذرٌ أتت من جهة تونس، ومن جهةٍ أخرى كان يخشى من انحسار سمعته بوصفه نظاماً قادراً على جلب الاستقرار للبلاد. فلم يكن مستغرباً أن يستبق النظام الحدث، ويحدّر قبل شهر من تنظيم

³ صرّحت اللجنة العليا للانتخابات واصفة الإقبال بالضعيف، ووضعت في حدٍ يقلّ عن 5%، لكن في الأخير عدّلت اللجنة نسب التصويت في تقريرها النهائي وصرّحت بأنّها قد بلغت 27%. كانت تقارير المراقبين ومراسلي الصحف الغربية للانتخابات عن ضعف الإقبال قد أثارت حفيظة الخارجية المصرية، ودخلت في مواجهة إعلامية تتهم الصحف الغربية ببيّث شائعاتٍ مغرضة، انظر: "القاهرة ردّاً على تقارير غربية عن تراجع شعبية السيسي: محاولة يائسة لتشويه صورة مصر"، سي إن إن العربية، 2015/10/19، شوهدي في 2016/1/26، في: <http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/10/19/egypt-elections-sisi-mof>

احتجاجات في ذكرى الثورة، منبهاً "الدول التي تُدَمِّر لا تعود"⁴، في إشارة إلى ما يجري في بلدان كسورية واليمن وليبيا. كما تجلّى فرع النظام في حجم التأمين المبالغ فيه، واستباق الشرطة هذه الذكرى بحملة اعتقالات لنشطاء من مختلف التيارات⁵.

وإلى جانب حالة التدهور الاقتصادي، فإنّ المصالح المتضاربة لأجحة السلطة، قد أخذت تطفو على السطح، كاشفةً عمّا يمكننا عدّه علامات على التحلّل الداخلي. وقد أسهم في هذا انحسار تهديد جماعة الإخوان، ذلك الذي ظلّ يوثق توحد هذه المؤسسات ودوائر النفوذ والتفافها من حول النظام؛ ففئة رجال الأعمال التي مالت إلى النظام وأسهمت في دعمه، ملأتها الخشية على إثر مشاحنات واضحة بين رموز هذا القطاع والنظام، وتهديدات مبطنة لبعضهم، وجاءت قمة التوتر مع اعتقال أحد كبار رجال الأعمال، ما دفع بمراقبين اقتصاديين إلى التحذير من أن تتسبّب خطوات كهذه في هروب الاستثمارات المحلية والأجنبية من مصر⁶. أمّا قلب التحالف المتمثّل بمؤسسات الأمن والدفاع والاستخبارات، فقد برزت خلافاته من خلال وكلائه في الإعلام. ومن المعروف أنّ لكلّ مؤسسة في هذا القطاع وكلاء في الإعلام، وقد دفعتهم في خضمّ الخلافات المكتومة للنيل من خصومها، بل وتوجيه النقد لرأس النظام نفسه. عبّرت ظاهرة التنافس الخشن بين المؤسسات عن نفسها في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، ما جعل البرلمان ساحةً أخرى لتنافسها على السلطة⁷.

⁴ "السياسي يحذر من التظاهر في ذكرى ثورة يناير 2011"، روسيا اليوم، 2015/12/22، شوهد في 2015/1/26، في: <https://goo.gl/xmhsG1>

⁵ "Egypt steps up raids ahead of revolution anniversary", *BBC*, 15/1/2016, viewed 26/1/2016, at: <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-35322163>

⁶ نُقل عن أحد رجال الأعمال المقربين من النظام قوله إنّ "هناك بالقطع صراع سلطة، ولكن لا نعرف من سيكون اللاعبون الرئيسيون، انظر:

Eric Trager, "Sisi's Fracturing Regime", *Foreign Policy*, 22/1/2016, viewed 26/1/2016, at: <http://goo.gl/jo3IVx>

⁷ وفي هذا الصدد يوضح تقرير فورين بولسي رصد مسؤولين أجنبي حالة التوتر بين السيسي والجيش. ونقل التقرير عن أحد المسؤولين قوله "إنّ اللوات يرون أنّ السيسي معزول ومحاط بأناس لا يمتلكون إجابات. وأضاف أنّهم يشعرون في طرح أسئلة مثل "لماذا تغرق الإسكندرية في مياه الأمطار؟ ولماذا قُتل السياح المكسيكيون؟ وهذا شيء مريب". ويؤكد التقرير أنّ "أعضاء مراكز السلطة الأساسية يجدون الوضع الحالي مريبًا".

نكوص الداعمين وعودة التآزم السياسي والاقتصادي

ثمة انحسارٌ كبير للدمج الموجّه للنظام، وبالخصوص ذلك الآتي من دولٍ خليجية داعمة⁸. وهو ما يمكن رصد ملامحه، وبيان الأسباب من ورائه؛ ثمة سبب لا يتعلق بالنظام نفسه، وهو الانخفاض العالمي لأسعار النفط، ووصولها إلى أدنى مستوى لها منذ أعوام، لكنّه يضع مشروعات الحكومة بشقيها السياسي والاقتصادي في مأزق. هذا علاوةً على هبوطٍ جليّ في مؤشر العلاقات بين النظام والداعمين؛ إذ لم يعد خافيًا وجود تملل خليجي، وصل في بعض الأحيان إلى مرحلة الغضب العلنيّ من توجهات النظام السياسية. ويشير مؤشر العلاقات في جملته إلى أزمة ثقة، بعضها يجيء على خلفية تردده إزاء "عاصفة الحزم"، ومعارضته غير العلنية رغبة سعودية في دعم بعض القوى اليمينية التي ترتبط فكريًا بالإخوان المسلمين، مرورًا بالعلاقة السعودية مع تركيا الآخذة في التحسّن، وانتهاءً بالموقف من التدخل الروسي في سورية، والذي يقف فيه النظام على النقيض من مجمل السياسة الخليجية الراضية هذا التدخل. كلّ هذا أغلق الباب أمام استمرار الدعم الخليجي السخيّ، مع الميل النسبي لجعله مشروطًا ومرتبلاً بدور القوات المصرية في ترتيبات الأمن الإقليمي الخليجية الجديدة. أمّا دوليًا، فإنّ فشل النظام في احتواء أزماته الداخلية لا يزال يعيق الرهان عليه بوصفه قوة إقليمية؛ سواء في موازنة الطموحات الإيرانية، أو مواجهة قوة داعش المتنامية. وبالتراشق مع ازدياد هذه القناعة غريبًا، فإنّ انتقادات الإعلام الغربي استمرت في التركيز على الملف الحقوقي. بحلول ذكرى الثورة، برزت آراء في الإعلام الغربي تستهدف الضغط على الحكومات الغربية لكي تصارح النظام في مصر بعدم قدرتها على التستّر عليه أكثر، ورفضها القبول بممارسات من نوعية الإخفاء القسري، والإعدام دون محاكمة، والقتل البطيء في السجون، وتوسيع الاعتقال بالاشتباه، وتلفيق التهم.

⁸ بحسب بيانات حكومية، تراجعت المنح الخليجية تراجعًا ملحوظًا، لتسجّل نحو ثمانية مليارات جنيه خلال هذه الفترة، في مقابل نحو 51.5 مليار جنيه، في الفترة نفسها من العام المالي 2013/2014، انظر: "هل توقف الدعم الخليجي لعبد الفتاح السيسي؟"، عربي21،

2015/7/18، شوهد في 2016/1/26، في: <http://goo.gl/t54vZl>

ونشطت المنظمات الحقوقية في الاتجاه ذاته؛ ففي بيانٍ أخير لـ"منظمة العفو الدولية" بمناسبة ذكرى ثورة يناير، حذرت المنظمة من أنّ "مصر غارقة في أزمةٍ ضخمة لحقوق الإنسان" مضيفاً أنّ "الأمل في أن تستهل ثورة 25 يناير حقبة جديدة من الإصلاح واحترام حقوق الإنسان قد دمّر تمامًا"، فالحال مع النظام الراهن أنّ "الأبواب قد أوصدت فعلياً أمام الآمال التي انعقدت على ثورة يناير لإطلاق عهدٍ جديد من الإصلاحات واحترام حقوق الإنسان"⁹. وطالبت المنظمة المجتمع الدولي بالتصدّي لـ"انتهاكات حقوق الإنسان في مصر من خلال مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة". وفي تقريرها العالمي عن حالة حقوق الإنسان¹⁰، دانت منظمة مراقبة حقوق الإنسان ممارسات الإخفاء القسري والقتل خارج إطار القانون فضلاً عن التعذيب، والتي يتّسع نطاقها في مصر. وأشارت المنظمة إلى عودة "وزارة الداخلية - وتحديدًا 'جهاز الأمن الوطني' المعروف سابقاً باسم 'أمن الدولة' - إلى ممارسات كانت شائعة قبل انتفاضة 2011، بشكل يعني عملها خارج نطاق القوانين المصرية تمامًا". ونبّهت للبنية التشريعية المعادية لحقوق الإنسان التي يستمر النظام في تكريسها في مصر.

انعكس الأمر على التفاعلات الداخلية؛ إذ تعطلت المقاربة الإصلاحية التي ظهرت في أعقاب الانقلاب، وبعضها كان يعزّزه بتأييد خارجي، في ظل استمرار أزمة الشرعية في جانب النظام، وبدا التفاعل ضعيفاً مع دعوات ظلّت تأتي من النخبة المصرية¹¹، غايتها اقتراح سبيلٍ لتجاوز الشقاق السياسي الراهن والوصول إلى صيغة توافقية سواء مع الاتجاهات الديمقراطية أو المعارضة الإسلامية. وتكمن علّة ذلك في تشدد فصيل

⁹ "مصر تعاني أزمة ضخمة" في حقوق الإنسان بعد 5 سنوات على الثورة"، بي بي سي عربي، 2016/1/23، شوهد في 2016/1/26، في: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/01/160123_egypt_amnesty_human_rights

¹⁰ يغطي التقرير سنة 2015، انظر:

World Report 2016, *Human Rights Watch*, (Egypt section), viewed 26/1/2016, at:

<https://www.hrw.org/world-report/2016/country-chapters/egypt>

¹¹ كان أبرز هذه الدعوات ما طرحه حسن نافعة في فترة الرئيس الانتقالي عدلي منصور، وما طرح قبل عدة أشهر في بيان حركة 6 أبريل، وحتى الحديث عن مبادرة سعودية، انظر ملخصاً لمبادرات ما بعد الانقلاب: إبراهيم يوسف، "مبادرات الخروج من الأزمة: من الذي قدمها ومتى؟"، *مصر العربية*، 2015/4/22، شوهد في 2016/1/27، في: <http://goo.gl/CIH5qC>؛ وانظر مبادرة حركة 6 أبريل في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي: محمد إبراهيم، "6 أبريل تطرح مبادرة للخروج من الأزمة. وحشمت لـ'رصد': رحيل السيسي أولاً"، *شبكة رصد*، 2015/11/25، شوهد في 2016/1/27، في: <http://rassd.com/166812.htm>

الأمنيين ضمن التحالف الاجتماعي المحيط بالنظام، وهم المسيطرون فعلياً على مجمل القرار السياسي، والذين يقفون عقبة أمام تحريك المياه الراكدة. ويظهر بعض من هذا العجز في تلكؤ النظام في التعامل مع نصيحة استيعاب الفئات الشابّة التي تأتي من أوساطه نفسها، على الرغم من الوعود المتكررة بالإقدام على ذلك¹²، حتى ظلّت مساحات الغضب بين فئة الشباب كما هي، بينما لا توجد روافع لتحويلها إلى مساحات للتفاعل بين الدولة والمجتمع. ربّما تقف قضية الألتراس والمحبوسين من شباب الثورة، واستمرار الخطاب الإقصائي المشوّه لثورة يناير، علامات على استمرار هذه الأزمة.

أمّا قضية الأوضاع المعيشية، فقد كشفت ذكرى ثورة يناير حقيقة الوضع الاقتصادي المتردّي، والمدى الذي بلغتّه حالة الفقر في مصر. وفي حين أنّ الغضب الشعبي من انخفاض مستويات المعيشة ظلّ على حاله، جاءت سياسات رفع الدعم عن المحروقات ورفع أسعار الطاقة الكهربائية¹³، والانهيال المتواصل في قيمة العملة، والارتفاع المستمر في الأسعار، مضيئةً إلى الضغوط التي تُفاقم حالة الحرمان الاقتصادي في البلاد. ويذكر في هذا السياق العجز عن مكافحة الفساد، وهو ملفّ حمل أصداء خارجية، وتسبّب مراتٍ في إحراج النظام وإظهار عدم حرصه على وقف هذه الظاهرة. فالإحساس العام أنّ ثروات كبار الرأسماليين المرتبطين بالنظام لم تمسّ، بل هي في نموّها الطبيعي لا تتأثّر، على الرغم من ادّعاءات الخسارة وعزف الإعلام على توقّف عجلة الإنتاج، وهذا ما تكشفه بيانات جملة الثروات لأكبر الرأسماليين المصريين¹⁴.

¹² مع ضخامة مشهد احتجاجي لرابطة مشجعي النادي الأهلي "ألتراس أهلاوي" لعدم إنجاز العدالة بعد مذبحه بورسعيد التي راح ضحيتها 74 من مشجعيه، في عهد المجلس العسكري، هرع السيسي إلى الحديث لأحد البرامج الفضائية محاولاً تهدئة الشباب، وقال: "إحنا اللي مش عارفين نتواصل مع شباب مصر مش هما، ولازم نبذل كل جهدنا للتفاهم معهم"، انظر: أحمد عنتر ومحمود البدوي، "تفاصيل مداخلة السيسي مع عمرو أديب"، الوطن، 2016/2/1، شوهد في 2016/2/2، في:

<http://www.elwatannews.com/news/details/950863>

¹³ قدّم المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات تحليلاً لآثار هذه السياسة في: "قرار الحكومة المصرية بالرفع الجزئي لدعم المحروقات: تعميق الأزمة أم خطوة باتجاه حلها؟"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، آب/أغسطس 2014، شوهد في 2016/2/2، في:

<http://www.dohainstitute.org/file/Get/e413ab99-a9d5-4b1f-b91c-5665ffb01f28.pdf>

¹⁴ علي خالد، "أوكسفام: ثروة أغنى 10 أفراد في مصر زادت إلى 23 مليار دولار خلال العام الماضي.. والفقر يتزايد"، البداية، 2016/2/3، شوهد في 2016/2/3، في: <http://albedaiiah.com/news/2016/02/03/106209>

من جهةٍ أخرى، تكشف التعديلات التي أُجريت على قانون العقوبات وعدّة قوانين تتعلق بالفساد وآليات مكافحته، اتجاه النظام إلى التصالح مع من اعتدوا على المال العام¹⁵. وظاهرة الفساد التي كانت علامةً على عصر مبارك بقيت على حالها؛ فقد انعدمت السبل لتطبيق إجراء العزل، والذي كان منصوباً عليه في بعض الجرائم المتعلقة بنهب المال العام. بما جعل الفاسدين المدانين في قضايا المال العام يشعرون بأنهم في مأمن من العقاب. ولا غرو أن الأمر يرسل رسالةً سلبية إلى الجماهير؛ إذ تناقض ما طالبوا به في الثورة من حسمٍ لملف الفساد الكبير والعمل الجدي على منعه. ولعلّ المعركة مع رئيس الجهاز المركزي للمحاسبات بسبب تقريرٍ قال فيه إن حجم الفساد الحكومي تخطى الـ 600 مليار جنيه، تقف شاهداً على افتقار الدولة إلى إرادة إصلاحية في هذا الخصوص¹⁶.

خاتمة

إذا ما استمرت وتيرة الغضب على حالها، ومضت سياسة التغلّول الأمني في فرض شروطها على المشهد السياسي في مصر، من المتوقع أن يتجدد الاحتجاج الجماهيري الواسع؛ ففقدرة السلطة على إشاعة الرهبة، وإثارة الخوف من الإرهاب والإخوان والفوضى، وغير ذلك من فزاعاتٍ دأبت آلتها الدعائية على استخدامها في مواجهة المطالب الجماهيرية، لم تعد توتي أكلها، وبدأت بالفعل تتحسر أمام احتجاجات مهنية واسعة، وبوادر لموجة غضب عمالي وفئوي جديدة. يمكن تلمس مؤشرات ذلك في تحرك نقابة الأطباء ضد وزارة الداخلية على خلفية اعتداء أفراد من الداخلية على أطباء أحد المستشفيات في العاصمة أثناء تأدية خدماتهم¹⁷. وأشار مستوى

¹⁵ محمد بصل، "السياسي يصدر تعديل 'الإجراءات الجنائية' لتدارك تكرار حكم مبارك وتنظيم التصالح في جرائم المال العام"، الشروق، 2015/3/12، شوهد في 2016/2/2، في: <http://goo.gl/wl5Awk>

¹⁶ بيسان كساب، "سيناريوهات معاقبة 'جنيّة' بين رغبات السياسة وعقبات القانون"، مدى مصر، 2016/1/15، شوهد في 2016/2/2، في: <http://goo.gl/TssXj6>

¹⁷ في هذه الأزمة استخدمت الدولة أدواتها، سواء بالإعلام الدعائي وأعمال تشويه السمعة، أو بالترهيب والتهديد بتلفيق التهم، أو بالمراوغة في طرح الحلول والهروب من الأزمة بوعود كاذبة. تكشف منى مينا الناشطة والنقابية التي تقود الاحتجاجات موقف النقابة من هذه الأزمة وكيفية مواجهة أساليب القهر والتعتت، انظر: أحمد سعيد حسنين، "منى مينا: كرامة المواطن خط أحمر.. ونحن أول الساعين لتطهير

التضامن الشعبي الواسع، والتأييد من النقابات المهنية الأخرى إلى قرارات الجمعية العمومية لنقابة الأطباء الاستعداد لمواجهة سياسات الحكومة وعنف وزارة الداخلية. على الصعيد الخارجي، يستمر ملف حقوق الإنسان في تأزيم علاقات مصر بالخارج، بعد فضيحة مصرع الطالب الإيطالي جوليو ريجيني جزاء التعذيب¹⁸، وأشارت ردود الفعل الغربية الغاضبة إلى احتمالات تصاعد التدهور في العلاقات على خلفية ملفات التعذيب والإختفاء القسري وغيرها من الانتهاكات الواسعة. أمّا إقليمياً، فثمة مؤشرات على استمرار تذبذب العلاقات السعودية الخليجية على خلفية الأزمة في سورية؛ فالدعوة السعودية لتشكيل قوة تدخل لم يستجب لها النظام في مصر بالقدر الكافي. وإجمالاً، لا يبدو النظام في مصر قادراً في هذا الخصوص على حسم خياراته، ويبقى حائراً في موافقه بين أطراف الأزمة التي لا تظللها رؤية واضحة.

’الثوب الأبيض‘، التحرير، 2016/2/14، شوهد في 2016/2/15، في: <http://www.tahrirnews.com/posts/382473>؛ وبخصوص تداعيات الأزمة، انظر: ’تحرك أطباء مصر: أبعد من أزمة المطرية‘، العربي الجديد، 2016/2/13، شوهد في 2016/2/15، في: <http://goo.gl/36Xuhq>

¹⁸ Angy Ghannam, "Italian student's death puts Egyptian abuses back on agenda", *BBC*, 15/2/2016, viewed 15/2/2016, at: <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-35540065>